حقوق المرأة في الأدب المصري القديم
منذُ اقدم الأزمنة حتى القرن الحادي عشر قبل الميلاد

م.د. احمد عبيس فيروز
وزارة التربية/ تربية بابل
ahmdfairoz971@gmail.com

الخلاصة:
يقاس مستوى نهضة الامم حضارياً بمدى عراقتها وأرثها الحضاري، وبما أنَّ موضوع العراقة يرتبط بمدى عمق التأصيل الحضاري لكل أمة، لذلك مثلت مصر رائدة هذا العمق والتأصيل الحضاري، إذ نجدها تهتم بموضوع حقوق المرأة المصرية القديمة في الأساطير والقصص والحكم والامثال، في زمن كانت نساء المعمورة تعيش في ظل الاستغلال والقهر والظلم، فتمثلت حقوق المرأة المصرية من خلال اخذها دوراً في مجالات الحياة المتعددة، واظهر لنا الأدب المصري القديم دور المرأة المصرية ومساهمتها في بناء تلك الحضارة المصرية.

الكلمات المفتاحية: حقوق المرأة؛ الأدب المصري القديم؛ الأساطير؛ حكماء مصر القديمة.

Women's rights in ancient Egyptian literature
From the earliest times until the eleventh century B.C

Dr. Ahmad Obais Fayrouz
Ministry of Education / Education of Babylon
ahmdfairoz971@gmail.com

Abstract:
The level of the civilized renaissance of nations is measured by the extent of their heritage and cultural heritage, and since the issue of heritage is related to the depth of the cultural rooting of each nation, so Egypt represented the pioneer of this depth and cultural rooting, and we find it concerned with the issue of the rights of ancient Egyptian women in myths, stories, governance and proverbs, at a time when the women of the world lived In light of exploitation, oppression and injustice, while the rights of Egyptian women were represented in taking their role in various areas of life, and ancient Egyptian literature showed us the role of Egyptian women and their contribution to building that Egyptian civilization.

Keywords: women's rights; ancient Egyptian literature; myths; sages of ancient Egypt.

المقدمة:

يُعدُّ الأدب المصري من بين اقدم انواع الآداب في العالم، وقد تميز بإصالته حيث نشأ في ارض مصر وجاء نتيجة الظروف التي مر بها الشعب المصري معبراً عن مشاعره وأنفرد ذلك الأدب بخصائصه المميزة إذ لم يأخذ من غيره من حضارات العالم القديم بحكم توغله في القدم، بل وضع

الاساس الذي ارتكز عليه الأدب في بعض الامم القديمة فقد غذى الأدب المصري الأدبين العبري والإغريقي وساهم في تطور آداب حضارات اخرى واعانها على ان تقوم بدورها في الحياة الأدبية في الزمن القديم [١].

والكلام في الأدب المصري يقتضي التعريف بأنواعه، ومن أنواع الأدب المصري القديم الأدب الغنائي والأدب العاطفي، وكان النوع القصصي بارزاً فيه، ثم يأتي أدب الحكم والامثال أي التأملات، وليس هناك من شك أن الأدب الغنائي والقصصي قد ظهر منذ القدم في أرض مصر وقبل ظهور الكتابة، ويمكن ملاحظة ذلك عبر الرسوم الذي تركها المصري القديم(الشكل رقم١)، وليس بغريب ان ينمو الغناء وأدب القصة في قوم تخطوا دور الهمجية واصبحت لهم حضارة[٢].

اولاً: دور المرأة المصرية في العلم والأدب المصري القديم :

أكدت النصوص المصرية القديمة على اهتمام النساء المصريات بالعلم والمعرفة، فتخيل الأدباء وتناقلوا أنَّ إلهة الكتابة (دغوها سشات)، كانت أول من عرف خط القلم[٣]، وعلى الرغم من أنَّ مجالات الثقافة والتعليم كانت من شأن الذكور أساساً دون الاناث إلّا أنَّه تبين من وثائق فردية متباعدة أنَّ بعض المصريات ساهمن في نشاط المجتمع بنصيب مقبول وتعلمن الكتابة والقراءة وتذوقن الأدب وتراسلن به وأشارت الوثائق إلى أميرة عجوز من القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد اشتركت في توجيه القضاء وتصريف شؤون الوزارة[٤].

وهناك سيدة من الأسرة السادسة (٢٢٨٢- ٢١١٧ ق. م)، كانت تعتز بألقابها وهي: القاضية في القصر، وبنت تحوتي، ومن الأسرة الحادية عشرة يشير (خنواردو) الذي خدم في بلاط احدى زوجات الفرعون إلى ما كانت تتمتع به سيدته من مركز أدبي مميز فقد اشارت إلى اهتمامها بإقامة دارٍ للثقافة في مدينة (دندرة[٥]) لتعليم المرأة وتثقيفها مما يشير إلى الدور الذي قامت به النساء في تلك المرحلة في الحياة التربوية إلى جانب الرجال وقد عثر على ثلاث وثائق من الدولة الوسطى(الاسر١١ و١٢) (٢١٣٣-١٧٨١ قبل الميلاد) لقبت فيها المرأة بلقب كاتبة، اذ كان من المعتاد ان تتوارث هذه الطبقة تلك المهنة[٦].

وكانت ام الملك احمس الاول(١٥٤٩ــ١٥٢٤ ق .م) من الدولة الحديثة (١٥٦٧-١٠٨٥ ق م) قد وصفت بانها عالمة أي التي تعرف كل شيء وقد عثر ضمن آثار الملك توت عنخ امون(١٣٤٧-١٣٣٩ ق م) على اداة للكتابة تخص الاميرة مريت آتون[٧]، وقد كان لبعض النساء أدوار كبيرة في السلطة، وأشهر تلك النساء هي الملكة احمس نفر تاري من الأسرة الثامنة عشرة التي تمتعت بشهرة شعبية واسعة وعدت بعد وفاتها من الآلهة وألفت الأساطير حول مكانتها الإلهية، أمّا الملكة حتشبسوت((١٤٧٢-١٤٥٧ق.م) فقد حملت صفات الرجال وسيطرة على العرش لمدة ٢٢ سنة ووضعت الأساطير التي تخلد ذكراها، أمّا الملكة تي فقد استحوذت على حب الملك امنحوتب الثالث(١٣٨٨-١٣٤١ ق.م)، ونالت اهتمام ملوك الشرق الادنى وراسلت ملوك الشرق القديم بعد وفات زوجها، اما الملكة نفرتيتي فقد شاركت زوجها اخناتون(١٣٦٠- ١٣٤٣ق.م) في الحياة الدينية وكانت شديدة التعصب لمذهبه الديني الجديد[٨].(الشكل رقم ٢)

وعن مشاركة المرأة المصرية في شؤون السياسة[٩]، فقد كتبت احدى النساء في القصر الملكي المصري لأخيها قائد الرماة في النوبة وبأسلوب أدبي بهذا الخصوص:

"حرّك الشعب، واشعل الفتنة للعصيان والتمرد ضد سيدك"[١٠]

وهناك نصوص من (عصر الرعامسة[١١]١٢٩٣-١٠٨٩ ق م) تشير إلى نساء من اواسط الناس كانت بينهن مراسلات، وتشير احداهنَّ في رسالة لصاحبتها تسكن مدينة طيبة في الصعيد على قيامها بزيارة إلى مدينة منف، فكتبت بأسلوب طريف عن جمال منف ووصفتها بأنها غادة شقراء ووصفت جمال المدينة واسوارها وصورت في تلك الرسالة جمال إناث المدينة واهتماماتهن بالزهور واكاليل النبات

ورخاء المدينة[١٢]،وهنالك بعض القصائد الغنائية على لسان فتاة تتحدث عن جمال الطبيعية الريفية، وسعادة الإنسان فيها، وأنه يمضي وقتاً سعيداً في صيد الطيور وتبدأ تلك القصيدة بهذه الكلمات:

"الأغاني الجميلة التي تسر القلوب، والتي تغنيها اختك التي احبها قلبك عندما تعود من الحقول"[١٣]

واهتم المصريُّ القديم باستقرار الأسرة وتوفير الجو الامن فيها؛ لذلك تحدث كتاب تفسير الأحلام من الدولة الوسطى(٢١٣٣-١٩٩١ ق م) عن الاستقرار الأسري وكان من أركان ذلك الاستقرار هو تقدير الرجل لزوجته او لأخته(سنتف)، وصور كتاب الأحلام الشر الذي يلحق بالأسرة كما في النص الآتي:

"فاذا رأى الانسان في رؤياه النار تلحق بسريره، فذاك شراً ويعني طرد زوجته، واذا رأى وجهه في مرآة، فذاك شراً فيعني زوجة اخرى" [١٤].

وعرف المصريون ما يعرف بأدب الغزل وهي أغاني الحبيب الذي يتغزل بمحبوبته، واجتهاده في وصف محبوبته وطلعتها البهية التي تشبه طلعة الزهور في موسم الربيع، أذ كان يرى الجمال ينبعث من عينيها كلما نظرت بطرفها إليه وكثيراً ما كانت تلك القصائد على شكل حوار بين الحبيب وحبيبته، وأغلب الظن أنَّ تلك القصائد كانت تنشد بين الطرفين وسط عزف موسيقي مرافق لذلك الإلقاء[١٥].

ومن قصائد الغزل قصيدة الشاعر المحب الذي يشكو اعراض الحبيبة عنه وصدها له، فكان يفكر بأنواع الحيل للوصول إليها ورؤيتها فيقول:

"سأرقد في سريري متمارضاً، فيعودني جيراني، وتعودني اختي معهم، وتضحك اختي من اطبائي، لأنها تعرف دخيلة مرضي"[١٦]

وهناك اصناف من الكاهنات الثانويات والمساعدات من النساء في المعابد ومنهن المعدات والنقيات (وبت) والساهرات والمراقبات (اورشوت) والمنشدات (ميرون) والعازفات وكن احياناً يتم تكليفهن بمهمة الكاهنة الجنائزية (ودحموت-كا) [١٧]، والبعض منهن يقمن بأدوار في الأعياد الدينية، وصُوّرت الإلهة حتحور على أنها إلهة الرقص والغناء واللعب[١٨].

ثانياً: حقوق المرأة المصرية في الأساطير المصرية القديمة

أحبَّ المصريون هذا النوع من الأدب(الأساطير) ويعود ذلك لما له من أثر في نفوس المصريين وما فيه من خيال وشوق ومتعة لا يساورها الملل من قبل القاص والسامع؛ لذلك تنوعت تلك الأساطير بين اساطير يكون أبطالها من الآلهة واساطير يدخل إلى جانب الآلهة ابطال بشريون مثل الملوك والملكات، يرتبطون بروابط معينة بالآلهة[١٩].

وفي أسطورة الصراع بين الإله اوزيريس وأخيه (الإله ست) صور على أنَّه صراع الأُخوة على السلطة والسيادة على الارض والبشر، وان اولى اجيال الآلهة هما زوجين من الآلهة(اوزيريس وايزيس)،(ست و نفتيس) ولكنَّ الاختان (ايزيس ونفتيس)، تتدخلان في الصراع لصالح إله الخير اوزيريس، ولم تشارك نفتيس اخت ست لصالح مشاريعه الشريرة، فعندما تمّ إغراق اوزيريس في النهر تم انتشال جثته بمعونة ايزيس ونفتيس[٢٠].

وفي الأساطير المصرية ما يبين دور المرأة وموقفها مع الرجل، ففي أسطورة اوزيريس وموقف زوجته ايزيس وصراعه مع اخيه ست، وبعد مقتل اوزيريس على يد اخيه (ست) ظهرت أيزيس بدور المدافع عن ابنها (حورس) ودخلت في صراع مع ست لحماية الوليد (حورس)[٢١]، وكان لهذه الأسطورة الاثر البالغ على الشعب المصري، فالقصة فضلاً عن رسالتها الدينية لها دلالات اجتماعية كبيرة وذات طابع إنساني مؤثر فهي تتحدث عن قصة الأب الذي يرحل عن الدنيا قتيلاً وقد ترك من خلفه زوجته ووليدها اليتيم، فتبكيه الزوجة أشد البكاء ولا تعرف الراحة حتى تطمئن على دفن اشلاء زوجها المقتول ثم

تتولى تربية الولد(الشكل رقم ٣) حتى يشب ويبلغ أشده، وهي أثناء ذلك تلقنه حب الثأر لوالده من عمه ست، وحرصها للوقوف إلى جانب ولدها لغرض استرجاع إرثه المغصوب منه، وهي دائماً ما تحرص على حمايته ونصرته حتى يعود مُلكُ أبيه[٢٢]

ويتجلى دور المرأة أيضاً في الجانب السياسي للأساطير في أسطورة وصول الملكة حتشبسوت للسلطة، تبدو اسباب وصولها للسلطة على الرغم من عدم تقبل المجتمع المصري لحكم المرأة فقد كان هناك تقاليد سياسية ودينية واجتماعية ترى أنَّ الملك هو صورة الإله الذي يأخذ بعداً ذكورياً ولكن الكهنة استطاعوا تبرير حكم حتشبسوت وجاءوا بأسطورة مولدها الإلهي وترى تلك الأسطورة أنَّ الفرعون تحوتمس الاول(١٥٠٣-١٤٩١ ق.م) كان الأب البشري للمولودة، وتلقى ارادة ربه آمون عن رضى واعلنها على الناس فنادى بمولودته حتشبسوت شريكة له في الحكم، وعهد أمور السلطة وولاية العرش إليها من بعده[٢٣].

وأبلغُ دليل على احترام الأسرة لدى المصري القديم هو تصوير آلهتهم بشكل مجموعات أسرية فالإله بتاح له زوجة هي سخمت وابنه نفرتم، وآمون تقف إلى جانبه زوجته موت وولده خنسو(الشكل رقم ٤)، فيما كون الإله اوزيريس اسرة الى جانبه زوجته ايزيس وولده حورس [٢٤].

وفي كتاب الموتى ورد في الفصل الخامس والعشرين بعد المائة تفاصيل محاكمة الروح بعد الموت وعرض الاعمال في قاعة العدل الكبرى امام محكمة الإله اوزيريس [٢٥]، وفي قائمة الخطايا التي ينكر الميت ارتكابها يوم الحساب هو احترام الفروض الواجبة بين الأخوة والأخوات والأعمام والأخوال وفقد كانت هناك فعلاً علاقة قوية بين الاباء والأبناء وتطبيق الحقوق والواجبات وتنظيم المجتمع المصري أسرياً بشكل خاص ومجتمعياً بشكل عام [٢٦]

ثالثاً: حقوق المرأة المصرية في أدب القصة:

كان لأدب القصة في عصر الدولة الحديثة اهمية كبيرة؛ لأنها تسلط الضوء على جانب مهم من القواعد الاخلاقية وآداب السلوك في عصور الفراعنة والتي كانت تقضي بالابتعاد عن الإثم والفجور وانزال العقاب على كل من ينحرف عن هذه القاعدة، واستناداً إلى النصوص والأساطير كانت المرأة تُحرق إذا ثُبتت عليها جريمة الزنا كما يُلقى الزاني في النهر لتأكله التماسيح وفي بعض الاحيان تجري عملية إخصاء للرجل وتقطيع جسد المرأة والقائهما للكلاب جزاء ما ارتكبا من إثم[٢٧].

ومن القصص المصرية هي (قصة الاخوين[٢٨]) المخلصين وهما انوبيس وباتا وعلى الرغم من مسار القصة الذي يركز على مكر النساء ولكن ما يهمنا في هذا البحث من القصة هي الرفاهية على بساطتها لزوجة الأخ الأكبر، فالأخوين يعملان في الأرض بجهد ونشاط وعلى الرغم من التعب في الحقل ولكن من مقاطع القصة يدخل الأخ الأصغر الى البيت لإحضار البذور من البيت ليجد الزوجة وقد جلست تمشط شعرها وتزينه فلم تكلف بأعمال المزرعة المرهقة[٢٩].

أمّا الجانب الأخر من القصة فيسلط الاهتمام على دور المرأة المهم في حياة الرجل؛ لذلك لم تغفل الآلهة حياة الاخ الاصغر بعد هروبه، فقد كرمته الآلهة وقضت على وحشته في الوادي فخلق له الإله خنوم زوجة تؤنس وحشته، وعلى الرغم من تحذيراته لها بعدم الخروج إلى البحر لكنها خرجت وأراد البحر أن يختطفها ولكن باتا انقذها منه واستطاع البحر أن يأخذ خصلةً من شعرها طفت تلك الخصلة على النهر حتى وصلت مصر وهناك فاح عطرها فشغف الفرعون بصاحبة تلك الخصلة وأرسل إلى وادي الأرز في طلبها[٣٠].

وقد ركزت القصص المصرية القديمة على قدسية الرابطة الزوجية واحترامها، ومن أمثلة الخيانة الزوجية التي ينتقدها الأدب المصري القديم هي قصة زوجة الكاهن، فقد كان هنالك كاهن كبير من مدينة منف يدعى(اوبا انر) اذ كانت زوجته تخونه وتستولي على أمواله، وقد هامت بحب فتى من اهل المدينة، وفي نهاية القصة تتعرض المرأة الى عقوبة الحرق وذر رمادها في النهر[٣١].

وعبرت متون الأهرام والكتابات الجنائزية عن العلاقة التي تجمع الازواج بزوجاتهم وأنَّهم لم يرتضوا بزوجاتهم بدلاً في عالم الآخرة وسجلت رغبتهم في أن يجتمعوا مع زوجاتهم في دار الآخرة[٣٢].

وسجلت المصادر المصرية عن ضرائر متسامحات فصورت إحداهنَّ مع أبناء ضرتها الخمس يشاركونها متع الحياة في مناظر مقبرة زوجها ويقدمون الهدايا إليها وهي على أعتاب الآخرة، وهناك نصوص أشارت إلى عجوز يئست من عقمها فطلبت من زوجها أن يبحث عن الولد من جاريتها، وانجبت الجارية الاولاد والبنات وسجلت المصادر تسامحاً لطيفاً عن اثنين من الضرائر اطلقت احداهما اسم ضرتها على ابنتها واطلقت الاخرى اسم ضرتها على بناتها الثلاث اعترافاً بجميلها[٣٣].

ووردت كتابة نقش على قبر فتاة موجودة الآنَ في المتحف البريطاني تشرح فيها سيرة حياتها وزوجها وإنجاب الأطفال لزوجها الكاهن الكبير(يشر ينبتاح)، وكيف كان زوجها وفياً لها وكانت قد تزوجت من الكاهن ودوّنت على لوحة تذكارية جاء فيها**" إيها العلماء والكهنة والاحرار والنبلاء والناس اجمعين "** ثم تبدأ بشرح الطريقة التي تزوجت بها من الكاهن وكيف انجبت ثلاث فتيات ثم تضرعاتها مع الكاهن للمعبود ان يكون عطوفاً ويرزقها بالولد، ثم حصلت على ما تريد، وارادت في هذا النص أن تبين الاعمال الطيبة التي قام بها الكاهن الكبير، وهي سبب حصولهم على الولد، وتبين تلك النصوص كيف كان الزوج وفياً لزوجته فعند موتها قام بالإجراءات اللازمة من الطقوس الجنائزية عند وفاتها ولم يبخل في صرف المبالغ الخاصة بدفنها بطريقة فخمة وبجلال ووقار[٣٤].

وكان على الزوج أن يتكفل في ضروريات زوجته وكمالياتها وارتضوا أن يذكر دائماً فضائل زوجته لا نقائصها وفي الوقت نفسه له الحق في أن يكون قواماً عليها[٣٥].

رابعاً: حقوق المرأة المصرية في الحكم والامثال والنصائح:

وجدت على شواهد القبور كتابات لإزمان مبكرة من عصر الاهرام (متون الاهرام[٣٦]) وقد تركت نصائح وحكم وأمثال، أراد المصريون بأن يبينوا بها أنَّ على كل فرد أنْ يتحلى بالأخلاق الفاضلة ويقوم على اساس النهج الذي رسمته عائلته والطريقة التي يعامل بها عائلته وهم: والده، والدته، أخوته، أخواته، وهذه الفضائل لها اهميتها وذات مكانة عظيمة، وقد أكد أحد الأشراف من رجال الوجه القبلي الذي كان يعيش في القرن السابع والعشرين قبل الميلاد، وذكر في نقوش قبره عدداً كبيراً من أعماله الطيبة إذ قال:

> **" انني لا اقول الكذب لأنني كنت إنسان محبوباً من والده، ممدوحاً من والدته، حسن السلوك مع اخيه ودوداً لأخته"**، وهذه العبارة تكررت كثيراً في عدد من نقوش المقابر وبصيغ مقاربة لهذا النص [٣٧]

وصُوّرت متون الأهرام وآدابها جانباً من سلوك المعاملة بين الأب وأبنائه وبين سلوك الأم وأبنائها وسلطت المتون الاهتمام على هذا السلوك في عبارتين، هما عبارة عن دعوات يطلقها الابوان على وليدهما فالأمّ لا تزيد من أن تقول له **"جميل... ما أجملك أمّا الأب فانه يرى في إبنه ما يرجوه لغده... فيناديه ...وريثي"**. وتكشف النصوص المصرية أنَّ الأب يبتعد عن الملاينة مع الابن بالضد من الأم وتبين طريقة التعامل بين الام وولدها التي تتصف بالحنان ولكن على الرغم من ذلك لم يمنع المرأة من المساهمة في تنشئة جيل يساهم في التنشئة الطيبة لمجتمع مصري يتسم بأخلاق عالية[٣٨].

وكانت الروابط الاسرية أقوى الروابط الاجتماعية في مصر القديمة، والعلاقة الزوجية قوية، وكان المصريون حريصون على اسعاد زوجاتهم ومعاملتهن بالحسنى واحترام مكانتهن، وقد عدد الحكيم بتاح حتب الذي عاش حوالي(٢٣٤٠ ق م) بعض الواجبات الزوجية في تعاليمه وأوصى بأدائها قائلاً:

> **"اذا كنت عاقلاً فأسس لنفسك داراً واحبب زوجك حباً جما وآتها طعامها وزودها بالثياب، قدم لها العطور لينشرح صدرها ما عاشت فهي أي الزوجة حقل مثمر لصاحبه. وإياك ومنازعتها ولا**

تكن شديداً عليها، فباللين تستطيع ان تمتلك قلبها واعمل دائماً على رفاهيتها ليدوم صفاؤك وتتصل سعادتك"[٣٩].

وهكذا يرى هذا الحكيم أنَّ الزوج الناجح هو الزوج الذي يسعد زوجته عن طريق حبه وحسن معاملتها ثم عن طريق تأكيد ذلك الحب بالبراهين العملية فيقدم لها اطيب الطعام وأفخر الثياب وسائر ما تحتاج إليه[٤٠].

وكان الحكيم بتاح حتب يرشد ولده الى مقومات السعادة في الأسرة فيقول له:

"اختر زوجتك حين الصبا وارشدها كيف تصبح انسانه وعساها تنجب لك طفلاً فأنها اذا انجبته لك وانت شاب استطاعت ان تربيه وتجعله رجلاً" [٤١].

وصور لولده حقوق الزوجة فقال **"احبب زوجتك في حدود العرف وعاملها بما تستحق"** [٤٢]

ومن اقوال بتاح حتب **" اذا احببت ان يتجمل سلوكك وان تبرئ نفسك من كل سوء فاتقِ لحظة جحود القلب فأنه داء وبيل مستعص ولن تنشأ ثقة به وهو يعكر صفو الصديق الصدوق ويقصي الثقة عن مولاه ويسئ للآباء والامهات والاخوال ويطلق زوجة الرجل انه مجمع كل الشرور"**[٤٣].

ومن آداب الدخول إلى البيوت سواء كان بيتاً لأخٍ او صديقٍ او سيدٍ حسب تعاليم بتاح حتب هو المحافظة على حرمة البيوت وأسرارها وعدم مخالطة نساء ذلك البيت لتجنب المشاكل فقال" **أذا اردت ان تحافظ على الصداقة في بيت تدخله سيداً او اخاً او صاحباً، فأحذر التقرب من النساء، فأن المكان الذي هن فيه ليس بالحسن، ومن اجل هذا يذهب إلف إلى الهلاك**[٤٤]

وهناك امثال مصرية عدت فيها الزوجة انعكاساً حياً لشخصية زوجها عندما تكون صالحة أو طالحة كما في المثال الآتي: **"المرأة جسم من حجر لين تتخذ طبع اول من يشتغل فيها"** ومثال آخر يأخذ نفس المعنى: **"أذا عشقت المرأة تمساحاً تطبعت بطبعه"**[٤٥]

وهنا أراد الحكماء المصريون بيان أنَّ للرجل دوراً في رسم شخصية الزوجة، وما المرأة إلّا كيان لطيف لا يختلف عن ما يعيشه الطفل من براءة وهو المسؤول عن تكوين شخصيتها وغرس الأخلاق الطيبة فيها وبذلك فإنَّ الأخطاء التي تقع فيها المرأة هي نتيجة أخطاء الرجل الذي لم يوجهها الوجهة الصحيحة.

وهناك مراثي وصفها الحكيم (ايبور ٢٣٧٤-٢٢٨٠[٤٦]) بيّن فيها حال النساء في زمانه وأنَّ أغاني الفرح والسرور قد غادرت من قصائد السيدات النبيلات وطغت قصائد الحزن، فقال:

"واصبحت السيدات يتألمن مثل الاماء ومغنيات الخدور اصبحت اغانيهن لآلهة الغناء انشودة حزن" [٤٧].

ومن خطاب الحكيم ايبور أمام أحد الملوك ولم يعرف اسم ذلك الملك، قدم ايبور نصائح لقومه بيّن فيها ما آلت إليه البلاد بعد عصر التدهور والغزوات الاجنبية ومنها ما يخص النساء في بلده وسقوط الدولة القديمة، كما في النص الآتي:

" حقا ان الذهب واللازورد والفضة والياقوت والبرونز والمرمر والذي يزين جيد الجواري والسيدات الجميلات، يمشن في طول البلاد وربات الخدور يقلن ليت عندنا بعض الشيء نأكله.. حقا فأن السيدات في حالة يرثى لها اذ يرتدين الخرق البالية وقلوبهن تنفطر حينما يحيين"[٤٨]

وترك الملك امنمحات الأول (١٩٩٤-١٩٦٤.ق.م [٤٩]) مؤسس الأسرة الثانية عشرة إلى ولده سنوسرت الأول نصائح أخذت شهرة زمن الأسرة الثامنة عشرة وحتى الأسرة العشرين(١١٨٤-١٠٨٧ق.م) تحدث الملك الوالد إلى ولده ولي العرش مخاطر المؤامرات على الملك محذراً ولده بعد توليه العرش أن يأخذ الحيطة والحذر ومنها حذره من النساء كما في النص الآتي:

"أنظر أكانت المؤامرة بفعل الحريم؟ وهل تربى القتلة داخل قصري؟ وهل خدع الخدم فيما فعلوا؟[٥٠]

وعن الوفاء للزوجة المتوفية ذكرت النصوص أنَّ هنالك رجلاً توفيت زوجته على الرغم من أنَّ بقاء الرجل بدون زوجة معيب لدى المجتمع المصري القديم إلّا أنَّ الرجل ظل لمدة ثلاث سنوات بدون زوجة وفياً لها [٥١]، كما في النص الآتي:

"امضيت مدة ثمانية أشهر دون ان اتناول طعاماً أو شراباً يلائم رجلاً في مستواي، ولما عدت إلى منف طلبت من الفرعون اجازة وتوجهت إلى المسكن الذي تستقرين فيه(إلى قبرك) وبكيت كثيراً أمامك أنا واتباعي، وهذا ما فعلته إلى الآن، بقيت ثلاث سنوات وحيداً وسوف لا أدخل بيتاً آخر وأن كان هذا عملاً لست ملزماً به وأمامي بيت اخواتي ولكني لم اتردد على واحدة منهن"[٥٢].

وكانت وصايا وحكم المصريين تتحدث عن تأسيس البيت أو إنشاء بيت وتكوين أسرة من الأمور المحببة والتي يؤكدون عليها ويطلق على الرجل صاحب البيت والزوجة سيدة الدار، وكان من طبيعة المجتمع المصري القديم هو بقاء الولد تحت رعاية الأمّ والأب وعندما يكبر يؤسس بيتاً جديداً ويتزوج ويعيش مع زوجته بشكل مستقل[٥٣] .

ومن وصايا (الحكيم آني١٢٥٠ق م[٥٤]) مخاطباً ابنه كيف يعامل والدته فيقول:

"ضاعف مقدار الخبز الذي تعطيه لوالدتك واحملها كما حملتك ولقد كان عبؤها ثقيلا في حلمك ولم تتركه لي خط ابداً وحينما ولدت حملتك كذلك ثانية بعد شهور حلمك حول رقبتها وقد اعطتك ثديها ثلاث سنوات ولم تشمئز من برازك ولم تكن متبرمه وحين تصبح شاباً وتتخذ لك زوجة وتستقر في بيتك اجعل نصب عينك كيف وضعتك امك وكيف ربتك بكل الوسائط"[٥٥]

وسجلت وثائق المصريين أخباراً طريفة عن أزواج مثاليين عاتب أحدهم روح زوجته المتوفاة حين خُيل إليه أنّها كانت سبباً في مرضه وذكرها بما سلف لها من وفاء فقال:

"اتخذتك زوجة حين الشباب واستقرت عندك، وما حدث ان تخليت عنك او الحقت هماً في قلبك، وما اتاني انسان بشأنك وتقبلت منه شيئاً ضدك، وما اخفيت سراً عنك طيلة حياتك، وما أسأت إليك قط او عاملتك معاملة السيد، وما هجرتك او دخلت داراً غير دارك، وما جعلت احد يعيبني على مسلكي ازاءك"[٥٦]

اما الكاهن عنخ شاشنقي وهو احد كهنة معبد عين شمس، عاش في القرن الخامس عشر قبل الميلاد وكان من عامة الناس وشاء سوء حظه أن يتستر على مؤامرة ضد الفرعون وترك ذلك الاصل الفقير لهذا الحكيم اثره في رسم العلاقة بين الطبقات الفقيرة والطبقات النبيلة فيقول مخاطباً ابنه:

" نعمة الممتلكات زوجة حكيمة... لا تهجر امرأة في دارك لأنها عقيم... لا تقتل حية وتترك ذيلها، انما تتزوج المرأة برغبة زوجها...تخير زوجاً عاقلاً لا بنتك...ثم يردف قائلاً زوج ابنتك للصائغ ولا تزوج ابنك لابنته"[٥٧].

وهذا يدل أنَّ لهذا الحكيم رأياً خاصاً بالزواج إذ تُبين هذه النماذج البسيطة سلوك المصريين القدماء وعلى الرغم من قلتها وقدمها وصعوبة التعبير عن الفاظها إلا أنها تدل على عقليات ناجحة وأحاسيس نابضة وأذواق مرهفة، ومثل ما للحكيم شاشنقي من نظرة تفاؤلية حول النساء كانت له نظرة تشاؤمية ايضاً تحذر من بعض النساء فيقول:

" من زنى بامرأة من الطريق كان كمن ثقب كيسه وحمله معه"[٥٨]

ويبدو أن الكاهن شاشنقي تميز بنصائح تظهر فيها اصوله الشعبية الفقيرة على الضد من بقية الحكماء الذين ينتمون إلى الطبقات الغنية، لذلك جاءت نصائحه أكثر واقعية لما يعيشه الشعب المصري ومنها حقوق المرأة وواجباتها.

الاستنتاجات:

١. حصلت المرأة المصرية في العصور القديمة على نصيب وافر من الحقوق فاقت بقية نساء المعمورة في زمن غُيّب فيه هذا الدور في بقية الحضارات.

٢. شاركت المرأة المصرية الرجل في كثير من جوانب الحياة، ومنها عملها كاتبة وأديبة.

٣. أشهر أدوار المرأة المصرية كان في جوانب السياسة والاقتصاد والدين والأدب

٤. تنوعت أدوار الأدب ودور المرأة فيها.

٥. اهتمام الأساطير وإعطاء دور كبير للمرأة دلالة على أهميتها في المجتمع المصري القديم.

الهوامش والمصادر:

(١) محمد عبد الحميد بسيوني، آداب السلوك عند المصريين القدماء ،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧ ص١٩-ص٢٠. للاطلاع على أثر الأدب المصري في الأدب العبري والإغريقي مراجعة: فراس السواح، الحدث التوراتي والشرق الأدنى القديم، دار علاء الدين، (دمشق، ١٩٩٧) ، ص٣٧-ص٧٥ ؛ أيضاً مراجعة: فتحية علي ابراهيم دبور، المعبودات المصرية خارج مصر في العصرين اليوناني والروماني، اطروحة دكتوراه، جامعة طنطا،٢٠٠٦، ص٢٨-ص١٥٦ .

(٢) بسيوني، المصدر السابق، ص١٤.

(٣) عبد العزيز صالح، الأسرة في المجتمع المصري القديم، دار القلم القاهرة، ١٩٦١،ص ٧٣.

(٤) المصدر نفسه، ص ٧٢

(٥) دندرة: وهو الاقليم السادس من اقاليم مصر القديمة ، وكان معبودها الرئيس الإلهة حتحور، وهناك معبد فخم لها، وعاصمة الإقليم هي ايونت أو أيون تانتري أي عمود الإلهة حتحور: سمير اديب، موسوعة الحضارة المصرية القديمة، العربي للنشر والتوزيع،(القاهرة، ٢٠٠٠) ، ص١٦٦.

(٦) محمد علي عبد الامير حسن، دور المرأة ومكانتها في المجتمع المصري القديم، مجلة الفنون والآداب وعلوم الإنسانيات والاجتماع، العدد الثاني، كانون الاول، ٢٠١٦، ص٦٦.

(٧) المصدر نفسه، ص٦٦.

(٨) صالح، المصدر السابق ، ص ٧٤.

(٩) دخلت كثير من المصريات في عالم السياسة والحكم ومنها الملكة خنت كاوس التي انتهت إليها وراثة عرش الأسرة الفرعونية الرابعة من القرن السادس والعشرين قبل الميلاد، وهناك ملكة من القرن الرابع والعشرين ومن الأسرة السادسة كان اسمها نيت اقرتي، وهناك سيدة من القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد حكمت اقليم اسيوط وعدت وصية على ابنها القاصر، وهناك الملكة نفروسبك، آخر الملكات الأسرة الثانية عشر من القرن الثامن عشر قبل الميلاد، ولم يكن تدخل النساء في السلطة ناجحا دائما، فقد ادى تدخل بعضهم في الحكم إلى انتقال السلطات أسرة إلى أسرة حاكمة جديدة، ولكن حسب تدخلهن في الحكم والسياسة وحسب الظروف وان المجتمع لم يكن يأبى نشاطها لو توقع منها الكفاية، صالح، المصدر السابق، ص ٧٣.

(١٠) وسناء حسون يونس حسن الاغا، المرأة في حضارتي العراق ومصر القديمتين ،رسالة ماجستير، جامعة الموصل ،(الموصل، ٢٠٠٤)، ص٢٤٣ .

(١١) الرعامسة: كلمة تطلق على الفترة الثانية من الدولة الحديثة وتطلق أيضاً على ملوك تلك الفترة وهي فترة الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين وصفة الرعامسة مشتقة من أسم رعمسيس(رمسيس) وهي كلمتان أغريقيتان مأخوذتان من الاسم المصري رعمسو وتعني (الإله رع هو الذي خلقه): أديب، المصدر نفسه، ص٤٥٢.

(١٢) صالح، المصدر نفسه ، ص ٧٢

(١٣)محمد فياض، سمير اديب، الجمال والتجميل في مصر القديمة، نهضة مصر، (القاهرة، ٢٠٠٠)، ص٧١.
(١٤) سعيد اسماعيل علي، التربية في الحضارة المصرية القديمة، عالم الكتب، (القاهرة، ١٩٩٦)، ص١٤٤.
(١٥) فياض، المصدر السابق، ص٧٠.
(١٦) بسيوني، المصدر السابق، ص١٢٠
(١٧) الاغا، المصدر السابق ، ص١٦٤ .
(١٨) حسن، دور المرأة ومكانتها في المجتمع المصري القديم، ص٦٥
(١٩) محمد ابراهيم علي، احمد محمد البربري، الأدب المصري القديم، جامعة عين شمس ، (القاهرة، ٢٠٠٥)، ص٣٤.
(٢٠) سليم حسن، موسوعة مصر القديمة(الأدب المصري القديم)،جمعية الرعاية المتكاملة، (القاهرة، ٢٠٠٠)، ج١٨، ص١٣- ص١٤.
(٢١) صالح، المصدر نفسه، ص١٨.
(٢٢) علي، التربية، ص ١٤٥.
(٢٣) صالح، المصدر السابق، ص ٣٩
(٢٤) علي ، التربية، ص١٤٤.
(٢٥) الاغا، المصدر السابق، ص١٦٤.
(٢٦) فلاندرز بتري، الحياة الاجتماعية في مصر القديمة، حسن محمد جوهر، عبد المنعم عبد الحميد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٧٥)، ص١٥٣
(٢٧) الاغا، المصدر السابق، ص١٦٥
(٢٨) للمزيد عن قصة الاخوين مراجعة: سليم حسن، موسوعة مصر القديمة، مؤسسة هنداوي، (هاي ستريت،٢٠١٧)، ج١٧، ص١٠٧-ص١١٩.
(٢٩)سليم حسن، موسوعة مصر القديمة(الأدب المصري القديم)، مؤسسة هنداوي ،(المملكة المتحدة، ٢٠١٧)، ج١٧،، ص١٠٧.
(٣٠) المصدر نفسه، ص١٠٨.
(٣١) الاغا، المصدر السابق، ص١٦٤.
(٣٢) صالح، المصدر السابق، ص١٤
(٣٣) المصدر نفسه ، ص ١٠
(٣٤) اديب، المصدر السابق، ص٧٢، وايضاً الاغا، المصدر السابق، ص١٦٥.
للاطلاع على قصة الكاهن وزوجته الخائنة مراجعة : حسن، موسوعة مصر القديمة ، ج١٧، ص٩٣-ص١٠٧.
(٣٥) صالح، المصدر السابق، ص ٨.
(٣٦) متون الاهرام: هي النصوص المخصصة للملوك والتي زينت الجدران الداخلية للأهرامات، وتضمنت تصورات قديمة عُرفت بـ(النصوص النجمية) تشرح كيف يتحول الملك إلى نجم من النجوم القطبية بعد موته، أما نصوص الأهرام المتأخرة فعرفت بالنصوص الشمسية تشرح رحلة الملك برفقة الشمس يومياً عبر السماء: خزعل الماجدي، الدين المصري، دار الشروق، (عمان، ١٩٩٩)، ص١٩٣.
(٣٧) علي، التربية، ص١٢٣.
(٣٨) بسيوني، المصدر السابق، ص٢٧ .
(٣٩) علي، التربية، ص١٤٥.
(٤٠) المصدر نفسه، ص١٤٥.
(٤١) حسن، دور المرأة ومكانتها في المجتمع المصري القديم، ص٧٥
(٤٢) المصدر نفسه، ص٧٦.
(٤٣) بسيوني، المصدر السابق، ص٣٢-٣٣
(٤٤) علي، التربية ، ص١٢٥.
(٤٥) فياض، المصدر السابق، ص٨٠.
(٤٦) ايبور: هو حكيم مصري قديم عاصر ثورة ذات مغزى طبقي في اواخر القرن ٢٣ ق م، يصف ايبور الاحداث التي رافقت الثورة، وكان ايبور مدركاً مفاسد الحكم في عصره وضرورة الاصلاح، وربّما يعود ذلك إلى انتماءه للطبقة الارستقراطية، وكان يتمنى الاصلاح من داخل طبقته او بوحي فرعون حازم ومصلح، لذلك اختلطت حسراته لما يحدث بالأمل ومجيء الخلاص، يُنظر: بسيوني، المصدر نفسه، ص٢٣- ص٢٤.
(٤٧) سليم حسن، المصدر السابق، ج١٧، ص٣٢٦.

(٤٨) المصدر نفسه، ص ٣٢٤.
(٤٩) أمنمحات الأول: وهو مؤسس الأسرة الثانية عشرة حكم من سنة(١٩٩٤ الى ١٩٦٤ ق.م) ويعتقد توليه منصب الوزير في زمن الأسرة الحادية عشرة ثم أطاحته بآخر ملوك هذه الأسرة وتوليه الحكم بدلا منه: جي راشيه، الموسوعة الشاملة للحضارة الفرعونية، ترجمة فاطمة عبد الله محمود المجلس الأعلى للثقافة، (القاهرة ،٢٠٠٦)، ص٧١.
(٥٠) محمد ابراهيم علي، احمد محمد البربري، الأدب المصري القديم، جامعة عين شمس ، (القاهرة، ٢٠٠٥)، ص٩٧.
(٥١) علي، التربية، ص١٤٤.
(٥٢) بيير مونتيه، الحياة اليومية في مصر، ترجمة عزيز مرقص منصور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٩٧) ، ص٧٢.
(٥٣) علي، التربية، ص١٤٤.
(٥٤) الكاتب آني: عاش الكاتب آني في عصر الدولة الفرعونية الحديثة في طيبة وتُنسب إليه بردية آني الكاتب المحفوظة الآن في المتحف البريطاني وتحتوي برديته على أهم فصول كتاب الموتى الفرعوني: برت إم هرو(كتاب الموتى الفرعوني)، الترجمة عن الفرعونية السير والس بدج، الترجمة إلى العربية فيليب عطية، مكتبة مدبولي، (القاهرة، ١٩٨٨)، ص٥.
(٥٥) سليم حسن، المصدر نفسه، ج١٧، ص٢٤٧.
(٥٦) المصدر نفسه، ص١٣.
(٥٧) حسن، دور المرأة ومكانتها في المجتمع المصري القديم، ص٧٥
(٥٨) المصدر نفسه، ص٧٥.

الملاحق:

(الشكل رقم ١)
حفلات الرقص والغناء في مصر القديمة، محمد فياض ، المرأة المصرية القديمة، دار الشروق، (بيروت، ١٩٩٥)، ص٩٤.

(الشكل رقم ٢)
الملكة نفرتيتي تشارك زوجها الملك اخناتون في عبادة الإله آتون(الشمس)، فياض، المرأة المصرية القديمة، ص٤١.

(الشكل رقم ٣)
الإلهة إيزيس تحمي رضيعها حورس، شهرزاد محمود مصطفى الهاشمي، العقائد في الرسوم الجدارية المصرية القديمة دراسة تحليلية، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، (بغداد، ٢٠٠٤)، ص١٤٨.

(الشكل رقم ٤)
تمثال الكاهن الاكبر لآمون راكعاً للأسرة الإلهية (آمون- موت-خنسو)،الكرنك الأسرة العشرين١١٢٠ ق م، مانفرد لوركر، معجم المعبودات والرموز في مصر القديمة، ترجمة صلاح الدين رمضان، مكتبة مدبولي، (القاهرة،٢٠٠٠)، ص٩٥.